

الترجمة و نقل الرسالة من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول

د/ فيلالي فريال

أستاذة بجامعة الجزائر 2

إن التساؤل عن الشروط التي ينبغي أن تتوفر في النص المترجم لإيصال الرسالة كاملة لمن الأهمية بـمكان. ويؤكد لادميرال Admiral أن وظيفة الترجمة هي تمرير الرسالة التي تتضمنها لغة الانطلاق (ل- ا) أو اللغة المصدر إلى اللغة الوصول (ل- و) أو اللغة الهدف¹ وبالتالي ينبغي أن تتوفر لدى المترجم (و المترجمان أيضا) معرفة متينة بلغات العمل التي يتعامل معها، وأن يكون ذا ثقافة شاملة، و في حالة الترجمات التقنية، اطلاع واسع على الميدان الذي ينتمي إليه النص المزمع نقله إلى اللغة الهدف². و للبرهنة على ذلك ارتأينا أن نقوم بتحليل هذه المسألة انطلاقا من رواية : « Le fils du pauvre »³ للمؤلف الجزائري الراحل مولود فرعون، التي قام بترجمتها إلى العربية محمد عجينة الأستاذ بمعهد بورقيبة للغات الحية الكائن مقره في تونس العاصمة⁴ بعنوان "نجل الفقير"، ونشرت ضمن سلسلة تعني بالترجمة الأدبية الكاملة اختارت شعارا عودة النص وحددت هدفها ومنهجها في الغلاف الخلفي لترجماتها الأدبية حيث ورد: سلسلة أدبية تعنى بنقل آثار كتبها أدباء من المغرب مباشرة باللغة الفرنسية إلى حقل الأدب العربي، و هي سلسلة ترمي إلى تخطي مرحلة الارتجال في ترجمة الآثار الأدبية و تسهر على احترام الجوانب الفنية والجمالية في الأثر المترجم. وشارك جانب كبير من الأساتذة الجامعيين الذين يتقنون اللغتين في إنجاز هذه الترجمات التي يمكن أن تناقش في بعض التفاصيل والاستعمالات لكن لا يمكن أن تناقش من حيث الدقة و الإلمام بمختلف عناصر النص الأصلي.

أما النص المترجم فإنه لا يتكرر إلى أصله المتصل بالتجربة الحياتية الواحدة بين نص الانطلاق و نص الوصول و لا تتغير الوسيلة التعبيرية⁵. و ما لاحظناه حين قمنا بمقارنة الترجمة بالنص الأصلي هو أن الشروط التي اشترطها لادميرال في الترجمة قد توفرت جزئيا فقط، ويبدو أن المترجم لم يكن على دراية حميمة بالوسط الذي تجري فيه الأحداث وهو وسط متواجد في بلاد القبائل الكبرى (في الجزائر) يمتاز بعادات وتقاليد خصوصية أصيلة وعتيدة، مما أثر سلبا على نوعية الرسالة في النص المترجم، و كان من المفروض إيصالها كاملة إلى القارئ الأحادي اللغة الذي يقتصر على مطالعة الترجمة إلى العربية دون سواها. وهذه الملاحظة لا تمس على العموم سرد الأحداث التي نقلت بوفاء وعلى أكمل وجه.

وجاءت الترجمة قريبة من الحرفية على العموم، مؤدية، دون أن تعبق منها رائحة الترجمة لأنها كتبت بأسلوب راق رفيع. إلا أنها لا تخلو من بعض الهنات والنقائص التي لا

تمس الجوهر وإنما تتجلى خصوصاً في التصوير الدقيق لبعض التقاليد والعادات التي تتميز بها العيشة في الجزائر عامة و بلاد القبائل خاصة. و نجد مثل هذه الهنات على عدة مستويات. منها أخطاء في كتابة أعلام قبائلية متداولة في الجزائر.

- ينقل المترجم مثلاً اسم العلم "Akli" في صيغة "عقلي" بدلاً من "أكلي" حتى إن بعض الجمل أصبحت غير مفهومة كما هو الحال بالنسبة للمثال التالي : "ذلك أن فورولو... مرفوق بذاكرتي بعقلي".⁶ ترجمة لقول مؤلف الرواية :

" Dans ma mémoire Fouroulou ...est toujours escorté d'Akli " ⁷

في حين كان يجدر به أن يترجم الجملة على الوجه التالي: " ذلك أن فورولو... مر فوق في ذاكرتي بأكلي". والفرق بين الجملتين العربيتين واضح جلي لا يحتاج إلى أي تعليق. وتكرر هذا الخلل في النقل الصوتي لبعض الأسماء الأعلام غير ما مرة:

- فتحول "Mohand" إلى "مهند" مكان "محند"،
- و نقلت "Aïni" في شكل "آيني" و الصحيح هو "عيني"،
- أما "Chabha" فنقلت في شكل "شبكة" بينما ينطق به الجزائريون بمدّ فتحة الشين: "شابحة".

ولا ندري أيضاً لماذا ترجم "Kabyles" بـ "قبايليون" ⁸ بينما تستعمل اللغة العامية الجزائرية لفظة "قبايل" والفصحى لفظة "قبائل" ؟ أما لفظة "قبايليون" فهي غير جارية تماماً على لسان الجزائريين.

و مما يؤخذ على المترجم أيضاً أنه نقل لفظة "le caïd" خطأ في شكل "القاضي" ⁹ بدلاً من "قائد" أو بالأحرى "قايد"، خاصة إذا عرفنا أن لفظة "caïd" كان لها في عهد الاحتلال الفرنسي وقع سيئ على آذان الجزائريين لأنه كان من عملاء الاستعمار وأعوانه. وبطبيعة الحال فإن "القائد" غير "القاضي" الذي يضطلع بمهام أخرى قوامها العدل والإنصاف، وبالتالي فإن الحادثة المسروقة فقدت جزءاً كبيراً من معناها و من وقعها على النفوس.

لجأ المترجم في بعض الأحيان إلى استعمال عبارات تستعمل في تونس دون البلدان العربية الأخرى، وبالتالي فهي لا تعرف في الجزائر، إذ يعلق على استعماله لكلمة "المحاريث" ¹⁰ بأنها لفظة تنتمي إلى " لغة التلاميذ والطلبة بتونس تستعمل لمن يجتهدون كثيراً" ¹¹ ويكونون عادة عرضة لسخرية زملائهم، وهي تقابل في اللهجة الجزائرية كلمة "درّاسين" (بترقيق حرف الراء) أو "امسامر" ...

ومن هذا القبيل استعمال مصطلحات خاصة بميدان التربية و التعليم رائجة في تونس وغير سارية في الجزائر. وما من شك في أن هذا الأمر يعيق شيئاً ما استيعاب الرسالة بكاملها، ومن بين هذه المصطلحات:

- "مدرسه ترشيح المعلمين" ¹² لترجمة "Ecole normale" بدلاً من "مدرسة المعلمين"،

- " الإعدادية " ¹³ ترجمة لـ "brevet" بدلا من "الأهلية"،
- "معهد" ¹⁴ ترجمة لـ "collège" بدلا من "تكميلية"، أو "إكمالية"
- "مناظرة" ¹⁵ ترجمة لـ "concours" بدلا من "مسابقة"،
كما لا يتم دائما تبليغ الرسالة لعدم الدقة في ترجمة بعض التعبيرات مما يؤدي إلى سوء تأويلها. فالجملة :

" le touriste ... éprouve toujours une indulgente sympathie pour les mœurs des habitants " ¹⁶

قد نقلت إلى العربية على الوجه التالي:

" إن السائح ... يحس دوما بضرب من التعاطف و التسامح إزاء السكان وأخلاقهم " ¹⁷

وتعطينا إعادة ترجمة هذه الجملة الأخيرة إلى الفرنسية ما يلي :

" le touriste... éprouve toujours une certaine forme de sympathie et d'indulgence pour les habitants et leurs mœurs ".

وهذا دليل واضح على أن الترجمة العربية للنص الفرنسي لم تكن دقيقة دائما بالقدر الكافي مما يخل بمضمون الرسالة. و في الصفحة 7 من النص العربي يبدو أنه قد فانت المترجم الإشارة إلى المثل المشهور الذي يقول: " الأعور ملكٌ بين العميان " ¹⁸

فكان الكاتب يرفض أن يعتبر نفسه " ملكا " على قومه لتيقنه من أنه كان يعيش بين العميان، وإن اعتبر نفسه ملكا عليهم فلا بد أن يكون هو أعور. فاكتفى المترجم بترجمة المعنى المباشر بقوله: "لكنه لا يريد أن يعد نفسه سيد القوم " ¹⁹ وهذا دون الإشارة إلى المعنى الضمني وما يوحي به المثل و ما يترتب عنه إن اعتبر الكاتب نفسه "ملكاً" على القوم، والدليل على هذا الرأي أنه استعمل لفظة "سيد" و ليس لفظة "ملك" كما هو الأمر في المثل السابق الذكر.

ومن أغرب ما صادفنا في هذه الترجمة أن المترجم نسي (أو تناسى) أن ينقل مقطعا

هاما من الجملة الفرنسية:

" Mais il a lu Montaigne et Rousseau, il a lu Daudet et Dickens (dans une traduction) " ²⁰

بقوله : " لكنه قرأ ما كتبه "دودي" و "ديكنز" (مترجما) " 21 اللهم إلا إذا كان الطابع

هو الذي أسقط المقطع من الجملة.

ومن الغريب أيضا أن المترجم ألحق بالهامش تعليقين خصص أحدهما لدودي و الثاني لديكنز دون أن يكون للتعليقين وجود في النص الأصلي. ولاشك في أنه لجأ إلى استخدام ما يسمى بملاحظة المترجم (note du traducteur) لتعريف القارئ بهذين الاسمين العلمين.

ولا ندري ما هو السبب الذي منعه من ترجمة الجزء الأول من الجملة الفرنسية. وقد يكون السبب أن المترجم اعتمد إصدار للرواية "Le Fils du pauvre" غير الإصدار الذي اعتمدناه.

وخلاصة القول إن الكاتب جعل سيرته الذاتية في عهد الطفولة والشببية مضمون الرواية وأراد أن يبرز من خلالها كيف استطاع انتزاع العلم و المعرفة رغم شطف العيش والمعاناة المريعة والطويلة حتى يستطيع تكوين شخصيته البارزة القوية، ويفرض نفسه وأفكاره في ميدان التربية والتعليم. فلا عجب إذن أن تكون ترجمة هذه الرواية صعبة لاشتمالها على زخم من الذكريات والتعابير الضمنية والمسبقات الافتراضية والأحاسيس غير المصرّح بها. ومن البديهي أن يعسر على المترجم التعبير بدقة عن جميع المشاعر المعبر عنها في هذه السيرة الذاتية. ومن جهة أخرى فإن الأسلوب يتجلى في كثير من الأحيان في قالب الشعر المنثور المنطوي على عبارات تعبر عن البراءة والحيل الصبغانية وروح الفكاهة وغضاضة الصبا، وهو أسلوب يصعب نقله إلى لغة أخرى مهما بذل المترجم من جهود، ولذا، فنادر ما نجد له أثرا في الترجمة.

وإذا كان المترجم قد بلغ الرسالة على مستوى سرد الأحداث فإنه لم يوفق دائما في أن يوصل إلى القارئ الجو السيكلولوجي الذي يسود الأحداث وذلك للأسباب التي أشرنا إليها. وبكلمة فإن هذه الترجمة تنقصها على وجه الخصوص النكهة المحلية التي تشكل بدون منازع جزءا لا يتجزأ من الرسالة التي تتضمنها رواية " نجل الفقير".

الهوامش:

1. J-R. Ladmiral, Traduire : théorèmes pour la traduction, Paris, Gallimard, 1994 : 11.
2. المرجع نفسه ص 12.
3. Mouloud. Feraoun, Le fils du pauvre, Alger, Boud, 1990
4. مجموعة من الأساتذة الجامعيين، الترجمة و نظرياتها، تونس، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق و الدراسات، بيت الحكمة، 1989، ص.7، ص.135، ص.251.
5. المنصف الجزار، " الترجمة الأدبية " عن المؤلف، الترجمة و نظرياتها، تونس قرطاج، المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق و الدراسات، بيت الحكمة، 1989، ص.135.
6. النص العربي، ص.31.
7. النص الفرنسي، ص.35.
8. النص العربي، ص 11.
9. النص العربي، ص 40.
10. وردت هذه الكلمة في ص. 147 من النص العربي. ترجمة لكلمة « bûcheurs »
11. النص العربي، ص. 147.
- 12.13. النص العربي، ص. 154.
- 13.14. النص العربي، ص. 146.
15. النص العربي، ص. 154.
16. النص الفرنسي، ص. 13.

17. النص العربي، ص. 11.
18. جوزيف نعموم حجار، المنجد في الأمثال و الحكم و الفرائد اللغوية، عربي — فرنسي فرنسي — عربي بيروت، دار المشرق، 2004، ص. 19.
19. النص العربي، ص. 7.
20. النص الفرنسي ص. 10.
21. النص العربي ص. 9.

— المدونة :

- Feraoun, Mouloud, Le fils du pauvre, Alger, Editions Bouchène, 1990, 172 pages.
- فرعون، مولود، نجل الفقير، ترجمة محمد عجينة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 155 صفحة.

المراجع :

- حجار، جوزيف نعموم، المنجد في الأمثال والحكم والفرائد اللغوية، عربي فرنسي/ فرنسي عربي، بيروت، دار المشرق، 2004.
- مجموعة من الأساتذة الجامعيين، الترجمة و نظرياتها، تونس، قرطاج، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1989.
- المنصف الجزار، "الترجمة الأدبية"، الترجمة و نظرياتها، تونس، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1989.
- Ladmiral , J-R, Traduire : théorèmes pour la traduction, Paris, Gallimard, 1994.